Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ - المعيار الاجتماعى :

وقد يكون لهذا المعيار تأثير واضح فى علاقة الخطيب بجمهوره من ناحيتين: من ناحيـة المسلك الفنى الذى يعول عليـه فى الخطاب، ومن ناحيـة المتلقى ومدى تأثره بمنزلة الخطيب وهيئته.

وقد اهتم علماء العرب وخطباؤهم بهذا المعيار فى أحكامهم وما وضعوه من شواهد استـمدوها من طبيعة البيئة الاجتماعية وواقع الحياة العربية. ومن ذلك ما رواه الجاحـظ عن سهل بن هارون إذ يقـول : «لو أن رجلين خطبا أو تحـدثا، أو احتـجا أو وصفـا وكان أحدهما جـميلا جليـلا بهيا، ولبـاسا نبيـلا، وذا حسب شريف، وكان الآخر قليلا قـميئا، وباذ الهيئة دميما، وخـامل الذكر مجهولا، ثم كان كلامـهما فى مقدار واحـد من البلاغة، وفى وزن واحد من الصـواب لتصدع عنهما الجمع وعامتهم تقضى للقليل الدمـيم على النبيل الجسيم، وللباذ الهيئة على ذى الهيئة، ولشغلهم التعجب منه عن مساواة صاحبه به، ولصار التعجب منه سببا للعجب به، ولصار الإكثار من شأنه علة للإكثار فى مدحه؛ لأن النفوس كانت له أحقر، ومن بيانه أيأس، ومن حسده أبعد.

فإذا هجموا منه على ما لم يكونوا يحتسبوا به، وظهر منه خلاف ما قدروه، تضاعف حسن كلامـه فى صدورهم، وكبر فى عيونهم لأن الشىء من غـير معدنه أغرب، وكلمـا كان أغرب كان أبعـد فى الوهم، وكلما كان أبعـد فى الوهم كان أطرف، وكلما كان أطرف كان أعجب. .»[1].

وبصرف النظر عن التـفسيـر النفسى لموقف الجمـهور فإن اخـتلاف المراتب الاجتمـاعية، وتفاوت الخـطباء والمتحدثين فى الهـيئة واللباس له تأثيـر فى طريقة التلقى، وفى طبيعة العلاقة التى تنـشأ بين المتكلم وجمهوره. وليس من الضرورى أن يكون موقف الجمهور ـ دائما ـ على النحو الذى حكاه خطيب العربية ـ سهل ـ فالمسألة خاضعة لمفهوم العصر وقيمـه الحضارية من ناحية، وخلق الجمهور ومستواه الفكرى من ناحية أخـرى، ففى عصور التخلف الحضـارى والخلقى يكون للتفاوت الاجتماعى بصمات واضحة فى مسلك الجمـهور بصفة عامة، حيث تكون المنطقية .

(١) البيان والتبيين ١ / ٨٩.